

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

عطر السنة - الندوة : 17 - حسن الخلق 1 - الإيمان هو الخلق .

17-09-2014

مقدمة :

المذيع:

أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرحب بكم أجمل ترحيب إلى حلقة جديدة من برنامج : "عطر السنة" ، نستنشق فيه عبير النبوة الفواح من فم أستاذنا الكريم الدكتور محمد راتب النابلسي

أعزائي المشاهدين سنتحدث اليوم عن حسن الخلق ، هذا المبدأ العظيم من مبادئ ديننا ، بل هذا البستان الوارف كثير الخير نستنشق عطره البديع من حديث النبي صلى الله عليه وسلم .
الدكتور راتب :
بارك الله بكم ونفع بكم .



المذيع:

أستاذنا يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((إن أدناكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً))

[أحمد عن أبي نَعْلَبَةَ الخُسَيْبِي]

((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))

[أبو داود عن عائشة]

نريد أن نعيش في ظلال حسن الخلق معكم .

علاقة الناس مع المؤمن علاقة أخلاقية :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .



الحقيقة الإنسان عندما يعطي ابنه شيئاً ، أي شيء ، لا يعقل أن يقيم له حفل تكريم لهذا الشيء ، أما حينما ينال درجة أولى في الامتحان فيقيم له حفلة .

المذيع:

لأنها من كسبه وجهده .

الدكتور راتب :

النبي صلى الله عليه وسلم يتمتع بمئات الخصائص التي يتميز بها ، إلا أن الله عز وجل حينما أتى عليه أتى على خلقه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 4]

فالشيء الذي من ذات الإنسان يمكن أن يقيم من خلاله ، أما معك جهاز بالغ التعقيد وبالغ الأداء فأنت لا يمكن أن تمدح بهذا الجهاز ، ليس من صنعك ، ولا من اختيار شخصيتك ، فالبطولة أن أعرف الخصائص التي أتمتع بها أنا ، هذه إذا تفوقت بها ألقى من الله التكريم ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 4]

وعلى تفيد العلو ، أحياناً الإنسان يدخل في صراع مع نفسه ، قد يُغلب وقد يُغلب ، أما على تفيد العلو بمكان أعلى بكثير من أن تنزل القدم ، تماماً كما لو أن إنساناً جالساً على الساحل قد تأتي موجة عاتية تأخذه إلى البحر ، أما إذا كان على قمة جبل فالقضية مستحيلة ، أن يتأثر



علو الرسول الكريم كان علو أخلاقي وقيمي

بموجة من موجات البحر هذا مستحيل ، العلو علو أخلاقي ، علو قيمي لهذا النبي الكريم :

﴿ وَنَكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم: 4]

ولذلك ابن قيم الجوزية قال : الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، زاد عليك بالإيمان .
بالنهاية علاقة الناس مع المؤمن علاقة أخلاقية ، هم يتعاملون معه بالأخذ والعطاء ، فإذا وجدوا منه خلقاً
عظيماً اقتنعوا بعظمة هذا الدين .

المذيع:

أستاذنا لكم في هذا حديث شيق حول العبادة التعاملية والشعائرية .

ارتباط العبادة الشعائرية بالعبادة التعاملية :

الدكتور راتب :

نعم الإنسان علة وجوده في الدنيا العبادة ، والدليل القطعي :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات: 56]



هذه العبادة نوعان ؛ عبادات شعائرية ، وعبادة
تعاملية ، الشعائرية كالصلاة والصوم والحج
والزكاة ، ولكن القضية الخطيرة والحاسمة في
هذا الموضوع أن العبادة الشعائرية لا تقطف
ثمارها ، ولا تأخذ نتائجها ، ولا ترقى بها إلا
إذا صحت العبادة التعاملية .

((ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس]

أي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

((من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً))

[مسند الشهاب عن أنس]

((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هِبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا))



من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في صيامه

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

انتهت الصلاة ، الصيام :

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الحج :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[لأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]

الزكاة :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: 53]

بقي الشهادة :



من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة وحققها أن تحجبه عن محارم الله

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل : وما حقها ؟ قال : أن تحجبه عن محارم الله))

[الترغيب والترهيب عن زيد بن أرقم بسند فيه مقال كبير]

هذه العبادات الشعائرية لا يمكن أن تقطف ثمارها بل ولا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية ،
التعاملية تفصيلية من العلاقات الأسرية وتنتهي بالعلاقات الدولية .

المذيع:

أستاذنا أحياناً تكون الأخلاق مسألة سهلة ، وأحياناً الأخلاق مسألة صعبة جداً ، هذا الصراع النفسي بين
الصدق أنك إذا صدقت ستدان ، وربما سيؤخذ مالك ، فأحياناً في عالمنا اليوم يكون هناك صراع ما بين
المبادئ والمصالح .

من أثر طاعة الله على مصلحة نفسه أخضعه الله للعناية الإلهية :

الدكتور راتب :

أنا أرى ذلك كما يلي : في كل بلد ، في كل مكان ، في كل تجمع ، في كل مؤسسة ، في كل وزارة ،
عدد ما شئت هناك قواعد أو مقولات مستنبطة من حركة الحياة

أي بلد فيه انحراف إداري كبير جداً ، الرشوة
لا بد منها ، ولا أصف أي بلد معين ، فهذه
مقولة تناقض شريعة الله عز وجل ، فيأتي
المؤمن يوازن بين أن يمارس هذه المقولة في
مجتمع معين وبين أن يخسر صلته بالله ، فيؤثر
طاعة الله عز وجل فيطيعه ولا يعبأ بمصلحته ،
بل يركلها بقدمه ، الآن الله عز وجل مكافأة له
يخضعه لقانون آخر قانون العناية الإلهية



ما ترك عبد شيئاً لله إلا وعوضه الله خيراً منه

فلذلك:

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا وعوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]



من ضحى بمصلحته خوفاً من ربه فقد جمع بين الدنيا والآخرة

صدق ولا أبالغ أنا أقول : زوال الكون أهون
على الله من أن تدع شيئاً محبباً إليك خوفاً من
الله عز وجل ولا تكافأ بأضعاف :

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا وعوضه الله خيراً))

منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

حسن الخلق 1 – الإيمان هو الخلق .

لكن بحسب الرؤية الأولية ضحيت بمصلحتي خوفاً من ربي ، ضحيت بمصلحتي رجاء أن يقبلني الله عنده ، فأنت بهذه الطريقة جمعت بين الدنيا والآخرة :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾

[سورة الرحمن: 46]

أنا أقول : زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، في أي عصر ، في أي مصر ، في أي زمان ، في أي مكان ، في أي بيئة ، في أي تجمع ، في أي ظرف ، ما دمت مع الله فالله عز وجل يكافئك .

المذيع:

أستاذنا هناك أخلاق جعلها الله سجية في بعض الناس كالكرم والشجاعة والوفاء وغيرها ، وهناك أخلاق يتصنعها بعض الناس ، ليس كل إنسان خلق كريماً أو شجاعاً إلى غير ذلك ، هل هناك فرق في الأجر؟

الفطرة و الصبغة :

الدكتور راتب :

الجواب :

((وإنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((إنما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ))

[أخرجه مالك عن بلاغ مالك]

فأي إنسان على الإطلاق فطر فطرة سليمة ، فطرة تعني أنه يحب الخير ، يحب العدل ، أن تحب الشيء لا يعني أنك تملكه ، فكل إنسان كائناتاً من كان يحب العدل والإنصاف والرحمة ، لكن هذه المحبة لعلها حافز تحفزه إلى أن يكون رحيماً ، هذه الفطرة ، الفطرة متوافقة مع الشريعة مئة بالمئة إلا أن الصبغة شيء آخر ، الصبغة التحلي بالكمال ، الفطرة تحب الرحمة،



الصبغة أنت رحيماً ، قال تعالى :

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

[سورة البقرة : 138]

ففي البداية هناك فطرة ، الفطرة الإنسان صفحة بيضاء لكنه يحب الخير ، يحب العدل ، يحب الإنصاف، وقد لا يكون منصفاً ، أن تحب الشيء لا يعني أنك تطبقه ، هذه الفطرة ، الدين الإسلامي دين الفطرة ، متطابق تطابقاً تاماً مع فطرة الإنسان ، فأى شيء أمرك الله به فطرتك تحبه ، وأي شيء نهاك الله عنه فطرتك تكرهه .

المذيع:

ولذلك حسن الخلق يعتبر ركيزة في الفطرة .

تناقض الطبع مع التكليف :

الدكتور راتب :

إلا أن الطبع شيء آخر :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها ...))

[أحمد عن أبي أمامة الباهلي]



هناك إنسان طبعه اعتزال الناس ، و آخر طبعه أن يكون مع الناس ، وثالث طبعه كلي ، ورابع طبعه جزئي ، لذلك :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

فمن خان أو كذب فقد إيمانه ، هذه الطبع يتناقض مع التكليف .

هناك شيء آخر : التكليف يتناقض مع الفطرة ، الطبع يأمرك أن تملأ عينيك من محاسن المرأة الأجنبية، ولكن التكليف يأمرك أن تغض البصر ، الطبع يقتضي أن تأخذ المال، التكليف ينبغي أن تنفق المال ، الطبع يقتضي أن تخوض في فضائح الناس ، التكليف يأمرك أن تمسك لسانك ، فذلك تناقض الطبع مع المنهج هو ثمن الجنة . وتوافق الفطرة مع المنهج هو ما سمي به الإسلام العظيم دين الفطرة .

المذيع:

أستاذنا الكريم جزاك الله خيراً ، الحقيقة الوقت يمر سريعاً ، ولكن لا يبقى من الوقت إلا أن أشكرك
جزيل الشكر على هذا العمق ، بارك الله بك ، وأنتم أعزائي المشاهدين أشكركم على حسن المتابعة ،
ألقاكم في حلقة مقبلة إن شاء الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .